

وإنما خفت موازين من خفت موازينه لاتباعهم الباطل وخفتها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلا السيئات إن يخف.

فَأَمَّهُ هَكَوِيَةً ﴿١﴾

﴿فأمة هاوية﴾ من قولهم: إذا دعوا على الرجل بالهلكة هوت أمه⁽³⁾ لأنه إذا هوى أي: سقط وهلك فقد هوت أمه تكلاً وحزنًا. قال:

هوت أمه ما يبعث الصبح غادياً وماذا يرد الليل حين يؤب
فكانه قيل: وأما من خفت موازينه فقد هلك. وقيل: هاوية من سماء النار، وكانها النار العميقة لهوى أهل النار فيها مهوى بعيداً. كما روي: يهوي فيها سبعين خريقاً⁽⁴⁾. أي: فمأواه النار. وقيل: للمأوى أم على التشبيه لأن الأم ماوى الولد ومفزعها. وعن قتادة: فأمة هاوية أي: فأم رأسه هاوية في قعر جهنم، لأنه يطرح فيها منكوساً.

وَمَا أَدْرَبَكَ مَا هِيَ ﴿٥﴾

﴿هيه﴾ ضمير الداهية التي دل عليها قوله: فأمة هاوية. في التفسير الأول، أو ضمير هاوية والهاء للسكت، وإذا وصل القارئ حنفها وقيل: حقه أن لا يندرج لثلاث يسقطها الإبراج لأنها ثابتة في المصحف، وقد أجزبت إثباتها مع الوصل. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة القارعة ثقل الله بها ميزانه يوم القيامة»⁽⁵⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

سورة التكاثر مكية

أَلْهَنَكُمْ التَّكَاثُرُ ﴿١﴾ حَيْثُ زِدْتُمُ الْمَنَابِرَ ﴿٢﴾

الهاء عن كذا واقهاه إذا شغله. و﴿التكاثر﴾ التباري في الكثرة والتباهي بها، وأن يقول هؤلاء نحن أكثر وهؤلاء نحن أكثر. روي أن بني عبد مناف وبني سهم تفاخروا أيهم أكثر عنداً فكثروهم بنو عبد مناف فقالت بنو سهم: إن البغي اهلكتنا في الجاهلية فعانونا بالأحياء والأموات، فكثرتهم بنو سهم، والمعنى: أنكم تكاثرتم بالأحياء حتى إذا استوعبتهم عددهم صرتم إلى المقابر فتكاثرتم بالأموات. عبر عن بلوغهم نكر الموتى بزيارة المقابر تهكمًا بهم. وقيل: كانوا يزورون المقابر فيقولون: هذا قبر فلان وهذا

ومعنى حصل جمع في الصحف أي: أظهر محصلاً مجموعاً. وقيل: ميز بين خيره وشره، ومنه قيل للمنخل المحصل. ومعنى علمه بهم يوم القيامة مجازاته لهم على مقادير أعمالهم لأن ذلك أثر خبره بهم.

إِنَّ رَبَّهُمْ يَوْمَ يَوْمِيذٍ لَّخَبِيرٌ ﴿١١﴾

وقرأ أبو السمال: إن ربهم بهم يومئذ خبير. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ سورة والعانيات أعطي من الأجر عشر حسنات بعدد من بات بالمزلفة وشهد جمعاً»⁽¹⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّكَّانِ الرَّحِيمِ

سورة القارعة مكية

أَلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَا أَزْرَبُهُ مَا الْقَارِعَةُ ﴿٣﴾

الظرف نصب بمضمربلت عليه القارعة أي: تفرع.

يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾

﴿يوم يكون الناس كالفراش المبثوث﴾. شبههم بالفراش في الكثرة والانتشار والضعف والذلة والتطاير إلى الداعي من كل جانب كما يتطاير الفراش إلى النار. قال جرير:

إن الفريزق ما علمت وقومه مثل الفراش غشين نار المصطلي
وفي أمثالهم أضعف من فراشة وأذل وأجهل، وسمي فراشا لتفرسه وانتشاره.

وَتَكُونُ أَلْجَسَاتُ كَالْيَتَامَى الْمَتْرُوثِ ﴿٥﴾

وشبه الجبال بالعهن وهو الصوف المصبغ الواناً لأنها الوان، وبالمنفوش منه لتفريق أجزائها. وقرأ ابن مسعود: كالصوف.

فَأَمَّا مَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَاضِيَةٍ ﴿٧﴾

الموازين جمع موازون وهو العمل الذي له وزن وخطر عند الله، أو جمع ميزان، وثقلها رجحانها. ومنه حديث أبي بكر لعمر رضي الله عنهما في وصيته⁽²⁾ له وإنما ثقلت موازين من ثقلت موازينهم يوم القيامة باتباعهم الحق وثقلها في الدنيا، وحق لميزان لا توضع فيه إلا الحسنات إن يتقل.

وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ﴿٨﴾

(1) نكره الثعلبي والواحدي وابن مريويه 297/4.

(2) رواه ابن أبي شيبة 573/14، كتاب: المغازي، باب: خلافة عمر.

(3) قال أحمد: والأول أظهر؛ لأنه مثل معروف كقولهم لأمه: الهبل.

(4) أخرجه الترمذي في كتاب: صفة جهنم، باب: ما جاء في صفة قعر =

= جهنم (الحديث رقم: 2575)، وأخرجه الحاكم في المستدرک 4/597.

(5) أخرجه البخاري في الرقاق، باب: حفظ اللسان. (الحديث رقم:

6478).

وتعظيمه في التهديد وزيادة في التهويل. وقرئ: لترؤن بالهمز وهي مستكرمة.

فإن قُلْتُ: لم استكرهت والواو المضمومة قبلها همزة قياس مطرد! قُلْتُ: ذاك في الواو التي ضمتها لازمة وهذه عارضة لالتقاء الساكنين.

ثُمَّ لَتَرَوْهَا بَعِيدَةً ۝٧

وقرئ: لترون ولترونها على البناء للمفعول. ﴿عَيْنِ اليقين﴾ أي: الرؤية التي هي نفس اليقين وخالصته ويجوز أن يراد بالرؤية العلم والإبصار.

ثُمَّ لَتُنْفَخَنَّ بِرُؤْيَا عَنِّي النَّعِيمِ ۝٨

﴿عن النعيم﴾ عن اللهو والتنعم الذي شغلكم الالتذاز به عن الدين وتكاليفه.

فإن قُلْتُ: ما النعيم الذي يستل عنه الإنسان ويعاتب عليه فما من أحد إلا وله نعيم؟ قُلْتُ: هو نعيم من عكف همته على استيفاء اللذات ولم يعش إلا لياكل الطيب ويلبس اللين ويقطع أوقاته بالهو والطرب، لا يعبا بالعلم والعمل ولا يحمل نفسه مشاقهما، فاما من تمتع بنعمة الله وأرزاقه التي لم يخلقها إلا لعباده وتقوى بها على دراسة العلم والقيام بالعمل وكان ناهضاً بالشكر فهو من ذاك بمعزل، وإليه أشار رسول الله ﷺ فيما يروى أنه أكل هو وأصحابه تمرًا وشربوا عليه ماءً فقال: «الحمد لله الذي أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين»⁽¹⁾. عن رسول الله ﷺ: «من قرأ الهالك التكاثر لم يحاسبه الله بالنعيم الذي أنعم به عليه في دار الدنيا وأعطى من الأجر كأنما قرأ ألف آية»⁽²⁾.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

سورة العصر مكية

وَالْعَصْرِ ۝١

أقسم بصلاة العصر لفضلها بنليل قوله تعالى: ﴿وَالصَّلَاةَ الْوَسْطَى﴾⁽³⁾ صلاة العصر في مصحف حفصة. وقوله عليه الصلاة والسلام: «مَنْ فاتته صلاة العصر فكانما وتر أهله وماله»⁽⁴⁾. ولأن التكليف في أدائها

قبر بلان عند تفاخرهم. والمعنى: الهالك نلك وهو مما لا يهنيكم ولا يجدي عليكم في دنياكم وأخرتكم عما يعينكم من أمر الدين الذي هو أهم وأعني من كل مهم، أو أراد الهالك التكاثر بالأموال والأولاد إلى أن متم وقبرتم منفقين أعماركم في طلب الدنيا والاستباق إليها والتهالك عليها، إلى أن أتكم الموت لا هم لكم غيرها عما هو أولى بكم من السعي لعاقبتكم والعمل لأخرتكم. وزيارة القبور عبارة عن الموت قال:

لن يخلص العام خليل عسرا ذاق الضمادا أو يزور القبر وقال:

زار القبور أبو مالك فاصبح الأم زوارها

وقرأ ابن عباس: الهالك، على الاستفهام الذي معناه التقرير.

كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٢

﴿كلا﴾ ردع وتنبية على أنه لا ينبغي للناظر لنفسه أن تكون الدنيا جميع همه ولا يهتم بدينه. ﴿سوف تعلمون﴾ إنذار ليخافوا فينتبهوا عن غفلتهم. والتكرير تأكيد للردع والإنذار عليهم.

ثُمَّ كَلَّا سَوْفَ تَعْلَمُونَ ۝٤

و﴿ثم﴾ دلالة على أن الإنذار الثاني أبلغ من الأول وأشد كما تقول للمنصوح: أقول لك ثم أقول لك لا تفعل. والمعنى: سوف تعلمون الخطأ فيما أنتم عليه إذا عاينتم ما قدأمكم من هول لقاء الله، وإن هذا التنبية نصيحة لكم ورحمة عليكم.

كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ ۝٥

ثم كرر التنبية أيضًا وقال: ﴿لو تعلمون﴾، محذوف الجواب، يعني: لو تعلمون ما بين أيديكم علم الأمر اليقين أي: تعلمكم ما تستيقنونه من الأمور التي وكلتم بعلمها همكم لفعالتم ما لا يوصف، ولا يكتنه ولكنكم ضلال جهلة، ثم قال:

لَتَرَوْنَّ الْجَحِيمَ ۝٦

﴿لترؤن الجحيم﴾ فبين لهم ما أنذرهم منه وأوعدهم به. وقد مر ما في إيضاح الشيء بعد إبهامه من تفخيمه

(2) نكره الثعلبي وابن مروييه والواحي في تفاسيرهم، زيلعي: 4/278.

(3) سورة البقرة، الآية: 238.

(4) أخرجه أحمد في المسند 2/54، 134 - 145. وأخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه 1/342.

(1) أخرجه ابن حبان في كتاب: الزكاة، باب: المسألة والأخذ وما يتعلق به من المكافأة، (الحديث رقم: 3411) والنسائي في كتاب: الوصايا، باب: قضاء الدين قبل الميراث، (الحديث رقم: 3640) أخرجه أبو داود في كتاب: الأطلعة، باب: ما يقول الرجل إذا طعم (الحديث رقم: 3850) وأخرجه الترمذي في السنن، كتاب: الدعوات، باب: ما يقول إذا فرغ من الطعام، (الحديث رقم: 3457).